وسائل التقارب بين الشرق والغرب
في الفكر الاستشراقي الحضارة الغربية
(رينيه جينو نموذجاً)

د/ مختار محمد عبدالله علي

المدرس بقسم الأديان والمذاهب بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

mokhtarali١٣٣@azhar.edu.eg

الملخص:

لقد حازت قضية التقارب بين الشرق والغرب على اهتمام كثير من المستشرقين ، الذين حاولوا أن يكوِّنوا جسور تواصل بين الشرق والغرب ، بطرق مختلفة ووسائل متنوعة ، وقد تميز المستشرق الفرنسي رينيه جينو (الشيخ عبدالواحد يحي) والذي يعد من أعلام الفكر الإنساني والإسلامي، بنظرية فريدة بيّن فيها وسائل التقارب بين الشرق والغرب .ومن هذه الوسائل: (عكسية الطلب)، والتي يبين من خلالها أن أحد أهم أسباب عدم التقارب بين الشرق والغرب: أن الغرب هو المطالب للتقارب لا عن طريق الوصول على نقاط الاتفاق والفهم وإنما عن طريق إقناع الشرق بنظرياته وتوجهاته. ومن الوسائل أيضاً: سوء اختيار الغرب للموضوعات المطروحة، والتي لا تثير اهتمام الشرق ؛كتقديم الجوانب المادية فقط، وإنكار الجوانب الروحية تماماً مما يضعف من وجود أرضية حقيقية للتقارب، موضحاً أن الشرق لن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ويبين المستشرق (رينيه جينو) أن الإنسانوية (وهي النزعات الجامحة في أوهامها المتعلقة بمصالح الإنسان) بكل أحلامها الوهمية ، ليست في كثير من الأحيان إلا قناعاً على المصالح المادية، وهو قناع يفرضه النفاق الأخلاقي مؤكداً على عدم إمكانية وجود وسائل تفاهم حقيقي إلا بعد الاتفاق على مبادئ لا ترجع إلى نطاق المادة ولا إلى ميدان العاطفة ، وإنما تعود إلى مجال

أعمق بكثير وأدوم استقراراً ألا وهو مجال العقلية المستبصرة. والتي سيتضح معناها في ثنايا البحث. ومن الوسائل أيضاً: إسقاط نظرية الإنكار المطلق والذي يعد المآل الطبيعي للعقلانية العلمانية أو المفهوم البراجماتي الذرائعي الذي يتجاهل تماماً أي تأمل نظري ليستمسك بنزعة عاطفية نفعية . إلى غير ذلك من الأسباب التي سنذكرها تفصيلاً في ثنايا البحث إن شاء الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: التقارب، الشرق، الغرب، الفكر الاستشراقي، رينيه جينو

Summary:

The issue of rapprochement between East and West has attracted the attention of many orientalists, who have tried to form bridges of communication between East and West, in different ways and by various means. It contains the means of rapprochement between East and West. Among these means: (reverse demand), Through which he shows that one of the most important reasons for the lack of rapprochement between East and West: that the West is the demands for rapprochement, not by reaching points of agreement and understanding, but by persuading the East with its theories and orientations. Another means are: the West's poor choice of the topics presented, which do not interest the East; The orientalist (Rene Gino) shows that humanism (which is the unbridled tendencies in its illusions related to human interests) with all its illusory dreams, is often nothing but a mask over material interests, a mask imposed by moral hypocrisy, stressing that no real means of understanding can exist until after agreement on Principles that do not refer to the realm of matter or to

the field of emotion, but rather to a field much deeper and more lasting and stable, which is the field of the clairvoyant mind. The meaning of which will become clear in the course of the research. Another means: dropping the theory of absolute denial, which is the natural course of secular rationality, or the pragmatic pragmatic concept, which completely ignores any theoretical contemplation in order to adhere to an emotional, utilitarian tendency To other reasons that we will mention in detail in the folds of the research, God willing.

Keywords: rapprochement, East, West, Orientalist thought, Rene Gino

المقدمة:

لقد حازت قضية التقارب بين الشرق والغرب على اهتمام كثير من المستشرقين ، الذين حاولوا أن يكوِّنوا جسور تواصل بين الشرق والغرب ، بطرق مختلفة ووسائل متنوعة ، وقد تميز المستشرق الفرنسي رينيه جينو (الشيخ عبدالواحد يحي) والذي يعد من أعلام الفكر الإنساني والإسلامي، بنظرية فريدة بيّن فيها وسائل التقارب بين الشرق والغرب .ومن هذه الوسائل: (عكسية الطلب)، والتي يبين من خلالها أن أحد أهم أسباب عدم التقارب بين الشرق والغرب: أن الغرب هو المطالب للتقارب لا عن طريق الوصول على نقاط الاتفاق والفهم وإنما عن طريق إقناع الشرق بنظرياته وتوجهاته. ومن الوسائل أيضاً: سوء اختيار الغرب للموضوعات المطروحة، والتي لا تثير اهتمام الشرق ؛كتقديم الجوانب المادية فقط، وإنكار الجوانب الروحية تماماً مما يضعف من وجود أرضية حقيقية للتقارب، موضحاً أن الشرق لن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ويبين المستشرق (رينيه جينو) أن الإنسانوية (وهي النزعات الجامحة في أوهامها المتعلقة بمصالح الإنسان) بكل أحلامها الوهمية ، ليست في كثير من الأحيان إلا قناعاً على المصالح المادية، وهو قناع يفرضه النفاق الأخلاقي مؤكداً على عدم إمكانية وجود وسائل تفاهم حقيقي إلا بعد الاتفاق على مبادئ لا ترجع إلى نطاق المادة ولا إلى ميدان العاطفة ،

وإنما تعود إلى مجال أعمق بكثير وأدوم استقراراً ألا وهو مجال العقلية المستبصرة. والتي سيتضح معناها في ثنايا البحث. ومن الوسائل أيضاً: إسقاط نظرية الإنكار المطلق والذي يعد المآل الطبيعي للعقلانية العلمانية أو المفهوم البراجماتي الذرائعي الذي يتجاهل تماماً أي تأمل نظري ليستمسك بنزعة عاطفية نفعية . إلى غير ذلك من الأسباب التي سنذكرها تفصيلاً في ثنايا البحث إن شاء الله تعالى.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

ترجع أهمية البحث وأسباب اختياره إلى عدة أسباب:

١- تباين الدراسات والنظريات المتبنية لفكرة التقارب بين الشرق والغرب، على أسس المنطلقات والمسلمات والمحددات، مما يدعو إلى تجلية الرؤية الإسلامية لهذه النظريات وفق مقتضيات البحث.

٢- الحاجة الحقيقية للعالمين الغربي والشرقي للتقارب والذي يعد أحد مظاهر التعارف الإنساني، طبقاً للطبيعة الكونية والبشرية والبيان الإلهي (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)

٣- حاجة الدعوة الإسلامية إلى قواسم مشتركة مع الآخر لتحقيق أهدافها وإبلاغ رسالتها.

٤- تكوين جسور تواصل حقيقية بين الشرق والغرب عن طريق العرض الموضوعي والأمين لوسائل التقارب في الرؤية الاستشراقية.

٥- عبقرية المستشرق رينيه جينو الذي يعتبره علماء الغرب مثل أفلاطون وأرسطو ، ويعتبره علماء الإسلام مثل حجة الإسلام الغزالي، وهو شاهد من الغرب على شمولية الإسلام وعظمة الشرق وحاجة الغرب للشرق وليس العكس.

٦- كتابات الشيخ عبدالواحد يحي (رينيه جينو) كتابات جادة تتسم بالعمق والفهم وهي تحتاج بحق إلى مزيد اهتمام ودراسة.

٧- وأخيراً؛ طرح علمي جديد لوسائل التقارب بين الشرق والغرب من خلال صوت الفكر الراجح الذي تمثل في كتابات رينيه جينو.

المناهج المستخدمة في البحث:

المنهج الوصفي(١): حيث نقوم في هذا المنهج بتسليط الضوء على وسائل التقارب بين الشرق والغرب في الفكر الاستشراقي بوجه عام، وبيان هذه الوسائل في فكر المستشرق رينيه جينو بوجه خاص، ووصفها وصفاً دقيقاً، من غير زيادة ولا نقصان، طبقاً لما تقتضيه طبيعة الدراسة الوصفية من حيدة تامة في النقل وعدم التحيز في العرض.

(١)المنهج الوصفي: هو المنهج الذي يعتمد على دراسة الظاهرة كما توجد في الواقع، ويهتم بوصفها وصفا دقيقا ويعبّر عنها كيفيا بوصفها وتوضيح خصائصها. راجع: البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة" دراسة مقارنة بين التصور الإسلامي والفكر الوضعي" : د/ عبد الله على عبد الحميد سمك ،ص ١٠٠ بتصرف، ط٢ ،٢٠٠٤ م ، بدون ذكر اسم الناشر .

المنهج النقدي(١): حيث نقوم فيه بدراسة نقدية للآراء والأفكار والمبادئ من خلال قواعد النقد المتفق عليها عند علماء البحث العلمي.

المنهج التحليلي(٢): القائم على الحيدة التامة، والتحليل الموضوعي، والأمانة العلمية، واستهداف الحقيقة وحدها، وبيانها دون تزيف أو تبديل، وذلك بالرجوع لكتب المستشرقات، للوقوف على حقيقة كتاباتهن والحديث عن جوانبها، وكشف خصائصها – قدر المستطاع –

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية البحث وأسباب اختيار الموضوع ومنهجي في البحث

(١) المنهج النقدي: هو منهج يقوم على تمييز الصواب من الخطأ، بتحليل الآراء وتمييزها مبيناً أوجه القوة والضعف فى تلك الآراء . راجع: البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة" دراسة مقارنة بين التصور الإسلامي والفكر الوضعي" مرجع سابق ص ١١٠ بتصرف، ط٢ ،٢٠٠٤ م ، بدون ذكر اسم الناشر .

(٢) المنهج التحليلي : هو شرح موضوعات البحوث العلميّة، بتحليل نصوصها وتأويل مشتبهاتها بحمل بعضها على بعض، تقييداً وإطلاقاً أو تخصيصاً وتعميماً، لضمّ المؤتلف وفصل المختلف، حتى تتّضح مشكلاتها، وتنكشف مبهماتُها، لتبدوَ بصورةٍ واضحة متكاملة.راجع: أبجديات البحث في العلوم الشرعية، د. فريد الأنصاري، ص٩٦بتصرف،منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

المبحث الأول: التعريف بالمستشرق (رينيه جينو) ويشتمل على ثلاثة مطالب، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: مولده واسمه ونشأته.

المطلب الثاني: مسيرته العلمية.

المطلب الثالث:خطة جينو الإصلاحية وأهم سماتها.

المبحث الثاني: وسائل التقارب بين الشرق والغرب في الفكر الاستشراقي بوجه عام، ويشتمل على مطلبين، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: معالجة نظرة الاستعلاء الغربي على الشرق

المطلب الثاني: النقل المعرفي للعلوم والآداب الشرقية

المبحث الثالث: وسائل التقارب بين الشرق والغرب في فكر المستشرق (رينيه جينو) ويشتمل على أربعة مطالب، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: عكسية الطلب

المطلب الثاني: إسقاط نظرية الإنكار المطلق

المطلب الثالث: إنشاء الصفوة العرفانية ودورها في التقارب

المطلب الرابع: التفاهم لا الاندماج

ثم الخاتمة، وقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات، سائلاً المولى سبحان ه وتعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وهو حسبنا ونعم الوكيل..

المبحث الأول: التعريف بالمستشرق (رينيه جينو)

المطلب الأول: مولده واسمه ونشأته

ولد المستشرق رينيه جينو المعروف باسم: الشيخ عبد الواحد يحي في قلب أوربا، في بلدة بلوا الفرنسية في ١٥ نوفمبر ١٨٨٦م، من أسرة فرنسية كاثوليكية محافظة كانت تعيش في يسر ورخاء، فقد كان والده مهندساً ذا شأن .وحياته لا تتسم بحوادث معينة، فقد كان هادئا ووديعاً . وكانت تلوح عليه منذ الطفولة علامات الذكاء.

بدأ تعليمه في إقليمه الذي نشأ فيه، وكان دائماً متفوقاً على أقرانه . وانتهى به الأمر سنة ١٩٠٤م، إلى نيل شهادة البكالوريا بعد أن نال جوائز عدة كانت تمنح للمتفوقين وسافر إلى باريس لتحضير الليسانس ، ومكث عامين في الدراسات الجامعية[١]

اهتم جينو في شبابه الباكر بالدراسات الروحية والمذاهب الميتافيزيقية الشرقية، ثم اعتنق الإسلام في سنة ١٩١٢ وتصوف على الطريقة الشاذلية وتسمى «عبدالواحد يحيى» سافر إلى مصر في سنة ١٩٣١ في مهمة علمية، ثم أقام بها إلى وفاته وتزوج وحصل على الجنسية المصرية. وقد عرف بنقده اللاذع للحضارة الغربية الحديثة، وإكباره الشديد للحضارات الشرقية كما تجلى ذلك في كتابه الأشهر «أزمة

(١) راجع: قضية التصوف المنقذ من الضلال، للإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود،ص١٠٨ وما بعدها بتصرف كبير. طبعة دار المعارف.

العالم الحديث» وكذلك في كتاب «الشرق والغرب»، وله ما يزيد على عشرين كتاباً وقد توفى في يناير ١٩٥١. ويعد كتاب «الشرق والغرب» بمثابة جمع وتلخيص لأفكار رينيه جينو.

المطلب الثاني: مسيرته العلمية

يذكر الإمام الأكبر الدكتور عبدالحليم محمود رحمه الله تعالى أن رينيه جينو رحمه الله تعالى كان ينشد الحقيقة ، فلم يترك ديانة أو ملة أو نحلة إلا تتبعها وعرف أسسها وصبر غورها، وبين الجانب الإيجابي والسلبي فيها، فبعد نقده للديانة المسيحية وصراعه مع الآباء الكنسيين، وتبيين عقائدهم، انتقل إلى التعرف على : الهندوسية ، والطاوية(١) ، تمكن مع أحد الباحثين من إنشاء مجلة باسم (الغنوص) la Gnose، ظلت تصدر حتى شباط من العام ١٩١٢ ، و من خلال تتبع مسيرة الشيخ يظهر أنه كان شديد الاهتمام بالتنظيمات والأفكار الروحية، طلباً للحقيقة والخلاص التي فقدها في المسيحية : وقد كان هذا العالم شغوفا بالاتجاهات الروحية ، ولذلك انضم إلى الكنيسة الغنوصية الفرنسية ثم غادرها

(١)الطاوية إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة التي ما تزال حية إلى اليوم إذ ترجع إلى القرن السادس قبل الميلاد، تقوم في جوهر فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية والوقوف موقفاً سلبياً من الحضارة والمدنية. يعتقدون أن الإله ليس بصوت، ولا صورة، أبدي لا يفنى، وجوده سابق وجود غيره وهو أصل الموجودات، يؤمنون بوحدة الوجود، وهم أقرب إلى الحلولية (راجع: الملل والنحل للشهرستاني ،– ج٢ – دار المعرفة – بيروت – ط٢ – ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.)

عندما نشبت الحرب العالمية الأولى في العام ١٩١٤ ، بقي جينو يمارس وظيفته بالمدارس الحرة، إلى سنة ١٩١٧، ثم عين مدرساً للفلسفة بمدينة بلوا ،ثم أرسل إلى الجزائر ليمارس نفس الوظيفة، وفي العام ١٩٢٢انعقدت بين جينو وبين الكاتب والناشر Paul Chacornac صداقةٌ متينة .كان پول شاكُرناك يصدر مجلة حجاب إيزيس le Voile d'Isis. وفي العام ١٩٢٥ مضيجينو في تعاون وثيق مع المجلة التي أعلنت أن هدفها "دراسة المنقول الباطني ومختلف الحركات القديمة والحديثة.

ومن الواضح والجلي أن الفلسفات، والحركات الروحية التي انتشرت في أوربا، في هاته الآونة، كانت من الأسباب الرئيسية التي جعلت من الشيخ يترك البحث و يبتعد عن الاختصاص في الرياضيات، ويبحر في البحث عن الحقيقة بمفهومها المطلق، وحدودها اللامتناهية كأنه تحمل مسؤولية تقويم وإرشاد فكر أوربي فقد نوره وحاد عن جادة الصواب[١] وفي عام ١٩٢٨كانت وفاة زوجته الوفية الفرنسية بيرت وبعد هذه الحادثة بسنتين قرر الشيخ التوجه نحو الشرق ، قاصداً مصر كي يتقرب من

(١) راجع: قضية التصوف المنقذ من الضلال، للإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود،صـ١٠٩ وما بعدها بتصرف كبير.، وراجع أيضاً: الشيخ عبد الواحد يحي وجهوده في خدمة التصوف الإسلامي د/معمر قول صـ٣٥ بتصرف، معهد العلوم الإسلامية.

منابع هذا الدين ويلتقي بأهل الطريق، ويطلع على النصوص العرفانية والكتابات الأولى لأرباب هذا الفن. (١)

المطلب الثالث: خطة جينو الإصلاحية وأهم سماتها

سلك جينو في خطته الإصلاحية مسلكين متباينين ولكنهما متكاملان أحدهما نظري راعى فيه أحوال الغربيين في زمانه وقد كانوا كما حكى هو نفسه يجهلون الإسلام جهلاً تاماً، ويرونه عدواً يتربص بهم ، ويتحين غفلتهم للوثوب عليهم، وتقويض حضارتهم ، فهم يتهيبونه ويتوجسون منه خيفة، فلا جرم أن دعوتهم إلى اعتناقه رأساً كانت خليقة أن تبعث الريب في النفوس وتزيد المعرضين إعراضاً.

والآخر: مسلك عملي، تمثل في اعتناقه للإسلام ، ثم في تصوفه ، ثم في اختياره مدينة القاهرة مستقراً له في حياته وبعد مماته. ولعله رأى أن العمل أدخلُ في النفوس وأدعى إلى التأسي من مجرد النظر، وهذا معلوم مشاهد ، فإن الناس إذا رأت من تحب على هيئته ، حاكته فيها وتأثرت خطاه ، وكذلك كان، فما نعلم كاتباً غربياً كبيراً ممن ذهب مذهب جينو إلا وقد أسلم ، ونصر الإسلام في كتبه ومؤلفاته (٢)

(١) المرجع السابق صـ٣٦

(٢) الشرق والغرب رينيه جينو ترجمة د/أسامة شفيع صـ٢٩ طبعة مدارات للأبحاث سنة ٢٠٢٠م

وإذا أردنا أن نجمل الخطة العامة للتقارب بين الشرق والغرب لجينو، وجدناها في كتابه القيم (الشرق والغرب) الذي ترجمه الدكتور أسامة شفيع والذي قسمه جينو تقسيماً أشبه بنهج الصوفية في تربيتهم للمريد فيبدأ في القسم الأول (أوهام غربية) بتخلية العقلية الغربية مما رسخ فيها من أباطيل، ثم يشرع في القسم الثانى (وسائل التقارب) في التَّحلية الأسباب التي أدت إلى فشل محاولات التقارب السابقة، وبذكر السبيل التي يراها إذا ما أُرِيدَ للغرب والشرق أنْ يَتَقَارَبَا، مؤكداً ضرورة الاتفاق على المبادئ الميتافيزيقية قبل كل شيء، ثم مبيناً ضرورة تكوين نخبة من أصحاب العلم اللدنى، الذين يستطيعون فهم هذه المبادئ وتحقيق الوفاق بشأنها، ثم باعثاً- في الختام- الطمأنينة في نفوس الغربيين بأن التقارب مع الشرق لن يفضى إلى الاندماج ولكن إلى الوفاق [1] .. وهذا مُجْمَلُ الخطة العقلية لجينو ، خاصة في كتابه الشرق والغرب والذي سنوليه اهتماماً كبيراً في بحثنا هذا لأنه بمثابة خلاصة كتب جينو ، وقد وضع فيه صفوة أفكاره.

(1) الشرق والغرب رينيه جينو ترجمة د/أسامة شفيع صـ٢١ المرجع السابق. وانظر أيضا : قضية التصوف المنقذ من الضلال للإمام عبدالحليم محمود مرجع سابق.

المبحث الثاني:

وسائل التقارب بين الشرق والغرب في الفكر الاستشراقي بوجه عام

المطلب الأول: معالجة نظرة الاستعلاء الغربي على الشرق

لقد اختلفت وجهات المستشرقين في تجاه نظرة الغرب المستعلية للشرق فمنهم من أيّد هذا وبشدة، ولم يكتف بهذا بل راح يدعو إلى ذلك وينشر أبحاثه التي تؤيد هذه الهيمنة ، وإثبات كل ما هو عظيم للغرب":المدنية،الحرية، المعرفة، المدرسة، القانون، الملكية الخاصة، والفردانية، والإنسانوية، الثورة الأخلاقية الإيمانية، الثورة البابوية، في توليفية فريدة بين أثينا، وروما والقدس، ثم الديمقراطية الليبرالية، وكل ذلك دون نسيان منجز الغرب الذي يتعذر نسيانه (الحداثة) والهدف هو إثبات ميزة فريدة وجوهرية للغرب تجعله على الدوام في غنى عن الاتصال بأي مجال حضاري بعيد عنه، فهو حسب" نيمو "يستطيع على الدوام ، وبقدرة ذاتية أن يؤثر، ولا يتأثر.

ويرى علي عزت بيجوفيتش أن الفشل الذي أصاب الإيديولوجيات الكبرى في العالم ، إنما يرجع إلى نظرتها إلى الإنسان والحياة نظرة أحادية الجانب شطرت العالم شطرين متصادمين بين مادية ملحدة

وكاثوليكية مغرقة في الأسرار ، ينكر كل واحد منهما الآخر ويدنيه بلا أمل في لقاء[١]

وها هو المستشرق الفرنسي كلود ليفي ستروس-Claude Lévi Strauss فرغم إقراره بحجم الاعتراضات التي ستجابه كل ادعاء بمركزية الغرب، وبتفوقه الحضاري إلا أنه يقول..."لكن أنظروا حولكم، وانتبهوا لكل ما يجري في العالم منذ قرن واحد، فتنهار كل تأملاتكم .وبعيدا عن انغلاقها على نفسها، تعترف جميع الحضارات الواحدة بعد الأخرى، بتفوق واحدة منها، ألا وهي الحضارة الغربية [٢] " ،هكذا حدد ستراوس الحضارة الجديرة بالتسيد؛ وهي حضارة لا تخطئها العين أبداً، فمن السهل إدراكها بمجرد أن ينظر المرء حوله، إنها أمر ظاهر للعيان، يواصل ستراوس إثباته قائلا ":ألا نرى العالم بأسره يستعير منها تدريجيا تقنياتها، ونمط حياتها، وأساليب لهوها، وحتى ملابسها"لكن السؤال العملي والفاعل هو ":كيف تستطيع ثقافة ما السيطرة على ثقافة أخرى؟ سؤال مهذب يحل محل أسئلة كثيرة في مجالات الحرب،والاقتصاد ... ومجرد قبول طرحه يعني أننا لم نتحرر بعد من التفكير الذي ينطلق من هيمنة الغرب المطلقة على كل ما سواه من بقية العالم، عبر وسائل عدة،

(١) الإسلام بين الشرق والغرب علي عزت بيجوفيتش صـ١٨ طبعة مجلة النور الكويتية

(٢) كلود ليفي ستروس عالم اجتماع وأنثروبوبوجي فرنسي من مواليد ١٩٠٨م عرف بأنه شيخ البنويين والمنهج البنوي هو الذي يبحث عن الحقيقة التي تكمن وراء الوقائع الملاحظة. (راجع المستشرقون للعقيقي ج٢ طبعة دارالمعارف صـ٢٣٢) بتصرف

أعتاها القوة العسكرية المؤسسة على التفوق التكنولوجي، وأنعمها هو الطرق السلمية بدءا من الدبلوماسية الثقافية والتجارية،.[١]

وؤكد هذه الفوقية الدكتور النملة في محدد العرقية لدى الأوربيين حيث يقول: نظرة الغرب إلى الآخر غير الغربي محدد أساسي من محددات العلاقة بين الشرق والغرب ، بل إن الشخص الأوربي ينظر إلى غير الأوربي نظرة قائمة على الفوقية بغض النظر عن الخلفية الثقافية لهذا الشخص سواء كان هذا الشخص مسلماً أو غير مسلم[٢]

ولا شك أن هذه عنصرية بغيضة تأبها النفوس الطبيعية وتبغضها الفطرة النقية فكلكم لآدم وآدم من تراب، وإذا أردنا التقارب الحقيقي بين الشرق والغرب فلابد من أن يكف الغرب ورجاله عن هذه النظرة المستعلية، وهذه الهيمنة المتعالية أيضاً .

(١) لئلا يكون صدام حضارات هادي المدرسي صـ٣٥ بتصرف ، دار الجديد الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م.

(٢) الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها د/علي إبراهيم النملة صـ٧٧ سنة ١٤٣١ هـ

المطلب الثاني:

النقل المعرفي للعلوم والآداب الشرقية

لقد اهتم المستشرقون بنقل ما يستطيعون نقله من علوم وآداب ومعارف من الشرق إلى الغرب ، ولكن ومع الأسف بعضهم كان يضمر لليد التي أمدته بالعلم والمعرفة شراً، وبعضهم تأثر بقيم الشرق وأخلاقه ، وعلى كل فإن هذه الوسيلة قد تمسك بها عدد غير قليل من المستشرقين ، سواء في المجالات الدينية أو الاجتماعية أو النفسية أو التاريخية ، فكثرت المؤلفات وتعددت الجهود فلقد حُققت المخطوطات ، وتُرجمت مؤلفات شرقية كثيرة بهدف نقل المعرفة تمهيداً للاستفادة منها ، أو إعادة صياغتها وفقاً للرؤية الغربية المهيمنة.

ولا ننكر تأثر الكثير من المستشرقين بمبادئ الشرق بصفة عامة وبمبادئ الدين الإسلامي بصفة خاصة ؛ بل كان الأمر يتعدى إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه ، وسواء كان هؤلاء المستشرقون رجالاً أو نساءً، فلقد قامت بعض المستشرقات بدور كبير في الدفاع عن الإسلام، سواء بالكتابة في هذا الموضوع، وتلخيص بعض كتب العقيدة وترجمتها مثل كتاب: ملخص كتاب شجرة اليقين للإمام أبي الحسن الأشعري للمستشرقة الإسبانية "كونثبثيون كاستيو"[1] أو الدعوة

(١)**كونثبثيون كاستيو كاستيو** (**Concepcion Castillo Castillo**) : مستشرقة إسبانية ولدت في كاستيو دي لومبين وحصلت على الليسانس من جامعة غرناطة سنة ١٩٦٨م ثم

الواقعية في أحاديث مسجلة، أو مقالات صحفية.. وقد بيّنت المؤرخة الأمريكية "إيفون حداد"(١) الدور الذي تقوم به من أجل الدفاع عن الإسلام في الولايات المتحدة قائلة: "أود بداية أن أوضح أنني نصرانية تدافع عن الإسلام –أي في بلادها– وتبرز معطياته الحضارية الإيجابية لترقية المسيرة الإنسانية، لأن الدفاع عن الإسلام هو في جوهره دفاع عن الحق، وأنا أعتبر الإسلام في مقدمة الديانات السماوية التي صانت حقوق الإنسان عبر المراحل التاريخية المختلفة، وأنا أطالب جميع المستشرقين بضرورة دراسة الإسلام دراسة موضوعية بعيداً عن التعصب، وإزاء تطور الحركة الاستشراقية المعاصرة، والإصرار الواضح لدى عدد كبير من المستشرقين معاداة الإسلام والمسلمين؛ فقد تأسس في واشنطن أول لجنة تضم أساتذة الدراسات الإسلامية ... لإعداد دراسات موضوعية عن الإسلام ونشر العديد من الكتب حول حقائق الدين الإسلامي باعتباره الدين الذي يساوي بين البشر، ويشجب التفرقة العنصرية، ويصون كافة الحقوق الإنسانية.(٢)

على الماجستير برسالة عنوانها" ماريا دي كاستيو دي لومبين ثم على الدكتوراه سنة ١٩٧٤م عن كتاب الإمام أبي الحسن الأشعري " شجرة اليقين" وعينت مدرسة للغة العربية. (انظر: المستشرقون نجيب العقيقي ج٢ ص٢٥٨ مرجع سابق).

(١) إيفون حداد: مستشرقة ومؤرخة أمريكية معاصرة، تعمل حالياً: أستاذة التاريخ الإسلامي بجامعة "ماساتشوسيتش University of Massachusetts الأمريكية.

(٢) مقال بمجلة آفاق الإسلامية، العدد ٨٠ عدد شعبان ١٤٢٤هـ، أكتوبر٢٠٠٣م.

، وأكتفي هنا بذكر هذا المثال حتى لا يخرج البحث عن هدفه الرئيس وهو الدراسة المتأنية لوسائل التقارب بين الشرق والغرب في فكر المستشرق رينيه جينو ، وهو ما سنذكره في المبحث التالي:

المبحث الثالث: وسائل التقارب بين الشرق والغرب في فكر المستشرق (رينيه جينو)

المطلب الأول: عكسية الطلب

يمكن القول أن هذه النظرية هي الأساس عند (جينو)، والذي بنى عليه بقية الوسائل التي يمكن أن تجمع بين الشرق والغرب جمع إفادة وعلم حقيقي ، لا يرتبط فقط بالعلوم المادية والدنيوية، وإنما بالعلوم التي تعترف بالروح وتقوي دعائمها،وبارتباط حياة الإنسان بالله سبحانه وتعالى وباليوم الآخر.

يبين (جينو) من خلال هذه النظرية أن أحد أهم أسباب عدم التقارب بين الشرق والغرب: أن الغرب هو المطالب للتقارب لا عن طريق الوصول إلى نقاط الاتفاق والفهم وإنما عن طريق إقناع الشرق بنظرياته وتوجهاته. ويعتبر هذا الاستنتاج من جينو شهادة بالهيمنة الغربية على الشرق حتى في الجانب النظري والعلمي ، ولذلك فإنه ينادي دائما بأن الغرب إذا ما أراد إثبات حضارة حقيقية، وعلماً حقيقياً فعليه أن يتخلى عن هذه الهيمنة، ويسعى إلى دمج العلوم والمعارف الغربية بالشرقية والإفادة منها. وقد أثبت هذا الاستنتاج أيضاً العلامة علي عزت بيجوفيتش ووسمه باسم(النظرة الأحادية للعقل الأوربي)

(١) كما يرى (جينو) أن الغرب مكلف بالاقتراب من الشرق وهو بحاجة ماسة لذلك خاصة إذا أراد الغرب الرجوع إلى وسطية الحياة الإنسانية التي تجمع بين الروح والجسد ، وتوفق بين كافة الاحتياجات الحياتية للإنسان ، فلكي يعيش الإنسان حياة حقيقية متزنة خالية من الإفراط أو التفريط فعليه أن يعترف بأنه مكون من روح وجسد وأن لكل منهما غذاؤه ، وأنه يجب عليه ألا يغلّب جانب المادية والجسد على متطلباته الروحية.

يقول(جينو): إنّ حضارة لا تعترف بأي مبدإٍ أسمى، وليست مؤسّسة في الواقع سوى على إنكار المبادئ، هي منزوعة من أيّ وسيلة للتفاهم مع الآخرين، لأنّ هذا التفاهم لكي

يكون فعّالاً وعميقاً لا يمكن أن يأتي إلاّ من أعلى، أي، وبالتحديد ممّا ينقص هذه الحضارة المنحرفة وغير الطبيعيّة .وفي الحالة الراهنة للعالم لدينا، من جهة، كلّ الحضارات التي بقيت أمينة للفكر التقليديّ، وهي الحضارات الشرقيّة، ومن جهة أخرى، حضارة معادية للتقليد بشكل جليّ، هي الحضارة الغربيّة الحديثة(٢).

(١)الإسلام بين الشرق والغرب صـ١٩

(٢)راجع: أزمة العالم الحديث رينيه جينو ترجمة عدنان نجيب الدين وجمال عمار صـ ذ طبعة المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية و الشرق والغرب رينيه جينو صـ٣٥

ويقول "إن الغرب هو الذي يناط به أن يقترب من الشرق لأنه هو الذي ابتعد عنه وسيكون من العبث بذل الجهد في إقناع الشرق بالاقتراب منه ؛ لأن الشرقيين لا يرون أنهم قد استجد لديهم اليوم من دواعي التغيير ما لم يكن موجوداً في القرون الخالية . ولا يعني ذلك –بطبيعة الحال– أنهم يمتنعون من التكيف الموافق لتمسكهم بالطابع الرباني، ولكن إذا كان التغيير المعروض سيفضي إلى هدم النظام القائم تماماً، فلن يستطيعوا قبوله بحال ولم يزل المشهد الذي يعرضه الغرب عليهم أهون شأناً من أن يدعوهم إلى الاقتناع به. وحتى إذا وَجَد الشرقيون أنفسهم مضطرين إلى أن يقبلوا التقدم المادي نوع قبول، فإن ذلك لا يمثل تغيراً عميقاً؛ لأنهم لا يأبهون لهذا التقدم ، وإنما يحتملونه احتمالهم للضرورة، ولا يرون فيه إلا سبباً زائداً للنقمة على أولائك الذين ألجأوهم إلى الإذعان إليه، كل ذلك دون أن يتخلوا عما يعد السبب الحقيقي لوجودهم ... وسوف يكونون أكثر بُعداً وأصعب منالاً "(١)

ونلاحظ هنا أن جينو لا ينعي على تكليف الغرب بالاقتراب من الشرق، وإنما يعيب على منهجية الغرب في إجبار الشرق على الاقتناع بنظرياته المادية، وتوجهاته النفعية، ويبيّن أن هذا المسلك

(١)راجع: أزمة العالم الحديث رينيه جينو ترجمة عدنان نجيب الدين وجمال عمار صـ ذ طبعة المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية و الشرق والغرب رينيه جينو صـ١٩٢، هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان رينيه جينو ترجمة عبدالباقي مفتاح طبعة عالم الكتاب الحديث ٢٠١٣

ليس وسيلة أبداً للتقارب الحقيقي بين الشرق والغرب ؛ بل ربما يكون وسيلة للتباعد وتعميق جذور البغض وروح الكراهية بينهما.

يقول (ومن اليقين أن الغرب هو الذي سعى إلى الشرقيين، ولكنه كان يضمر نية مختلفة تماماً، فهو لم يسع إليهم ليجلس منهم مجلس التعلم، كما ينبغي للشاب حين يلاقي شيخاً، ولكن ليجدّ في حملهم على اعتناق منهجه في النظر ، تارة بالقوة، وأخرى بالدهاء ، وليبشرهم بأنواع شتى من الأشياء التي لا يلقون لها بالاً، ولا يرغبون في أن يسمعوا عنها حديثاً، وقد صُدِم الشرقيون الذين يُكبِرون جميعاً أدب السلوك إكباراً شديداً بهذا التبشير الذي لم يصادف محله، ورأوا فيه فظاظة، ورأوا كذلك أن قدوم الغربيين لممارسته في بلادهم إخلال بقواعد الضيافة، وهذا أشد خطورة في نظرهم) (١)

كما يرى جينو أيضاً أن هذه الأساليب الغربية آية الجهل وأمارة على الخواء الفكري، لأنه يعني في الأساس هيمنة الشعورية؛ وذلك أن أحداً لا يسعه أن يروّج فكرة إلا إذا نيطت بها منفعة شعورية ما على حساب وضوحها، الأمر الذي يعده الشرقيون من أمارات التدني الغربي وهم يحسبون أنه دليل تساميهم(٢)

(١) الشرق والغرب رينيه جينو صـ١٩٢ نفس الصفحة

(٢) الشرق والغرب رينيه جينو صـ١٩٣

ويقول " سيكون الغرب بحاجة إلى مساعدة الشرق إذا أراد العودة إلى ميراثه من المعارف الإلهية" ولكن (جينو) يوضح معنى إلزامية الغرب بالاقتراب من الشرق بطريقة تناسب الاتصال الحقيقي الفعال والذي يشكل تقارباً حقيقياً بين الشرق والغرب عن طريق

المطلب الثاني: إسقاط نظرية الإنكار

تنص هذه النظرية التي ابتدعها الغرب على إنكار غير المحسوس معتمدين على عوامل "التنافر المعرفي" و"تأثير الناتج العكسي" (١) مما جعلهم يرون في الحقائق عدوًا ينبغي القضاء عليه ، وتعتبر هذه النظرية المآل الطبيعي للعقلانية العلمانية أو المفهوم البراجماتي الذرائعي(٢) الذي يتجاهل تماماً أي تأمل نظري ليستمسك بنزعة عاطفية نفعية.

---

(١) راجع كتاب "عندما تفشل النبوءة *When Prophecy Fails* "، ليون فستنجر وآخرون صـ٨٧ طبعة سنة ١٩٥٦ م،

(٢)البرجماتية **Pragmatism** : أو المذهب العملي أو فلسفة الذرائع أو العَمَلانِيَّة أو تقليد فلسفي بدأ في الولايات المتحدة حوالي عام ١٨٧٠ تُنسب أصولها غالباً إلى الفلاسفة تشارلز ساندرز بيرس ووليام جيمس وجون ديوي .وصفه بيرس في وقت لاحق في مقولته البرجماتية: «فكر في التأثيرات العملية للأدوات من خلال تصورك ، فإن تصورك لهذه التأثيرات هو كل تصورك لتلك الأدوات، وتعتبر البرجماتية الكلمات والفكر كأدوات للتنبؤ وحل المشكلات والعمل، وترفض فكرة أن وظيفة الفكر هي وصف الواقع أو تمثيله أو عكسه) (راجع:معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب النقدية والأدبية د/سمير سعيد حجازي طبعة دار الطلائع ، بدون تاريخ)

ويرى جينو أن الحضارة الغربية كالجسد المقطوع الرأس، لأن حضارته قامت على علم بلا مبادئ، وهذا مما يخالف جميع المناهج العلمية الحقيقية. كما أن إسقاط هذه النظرية –طبقاً لما يراه (جينو)– يعد من أهم وسائل التقارب بين الشرق والغرب.

إذ يقول: والحق أن هذه الاعتبارات تردنا إلى مفتتح حديثنا: فالحضارة الحديثة تعاني انعدام المبادئ في جميع المجالات ، فهي حضارة شذت شذوذاً غريباً عن سائر الحضارات،، إذ ليس لها إلا مبادئ سلبية ؛ أي إنها لا مبادئ لها ، فهي أشبه بكائن مقطوع الرأس، لم يزل يحيا حياة مكتظة ومضطربة ، وإن مما يجب على علماء الاجتماع –الذين يحبون تشبيه الجماعات بالكائنات (بصورة غير مبررة غالباً) – أن يتفكروا قليلاً في هذه المقارنة. لقد أفضى دثور الفكر الحِكمي الخالص إلى النظر إلى كل مجال خاص عرضي نظرة استقلال، وزحفت بعض المجالات إلى بعض، فامتزجت جميعاً واختلطت في فوضى معقدة، وانعكست الصلات الطبيعية ، فأمسى ما حقه ماحقه التبعية لغيره مستقلاً، وألغي كل تدرج هرمي تحت وطأة المساواة الموهومة في المنظومتين العقلية والاجتماعية....) (١)

(١) الشرق والغرب صـ٢٠١٦ مرجع سابق وانظر أيضاً: مليك العالم للشيخ عبدالواحد يحي (رينيه جينو) طبعة عالم الكتب الحديث صـ٨٧ سنة ٢٠١٣م.

واعتبر (رينيه جينو) أن الحضارة التي تفقد أصول العلم من مبادئ وقيم تعد حضارة غير ربانية، تفقد الهوية الروحية والتي تعتبر سبب بقاء الحضارات.

يقول رينيه جينو: وهذا بعينه ما نعّبر عنه بألفاظ أخرى عندما نقول: إن هذه الحضارة –بخلاف الحضارات الشرقية– ليست حضارة ربانية، ومرادنا بالحضارة الربانية تلك التي تقوم على مبادئ بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة، أي حيث تهيمن المنظومة الفكرية (العرفانية) على كل ما عداها، وحيث يكون كل شيء صادراً عن هذه المنظومة، بطريق مباشر أو غير مباشر، وهو ما يعني أن العلوم والمؤسسات الاجتماعية ليست على التحقيق إلا مجاليَ حادثة ،ثانوية، تتبع حقائق فكرية صرفة. وبهذا يتبين أن العودة إلى العلم الرباني والعودة إلى المبادئ ليستا إلا شيئاً واحداً، ولكن ينبغي البدء أولاً باستعادة العلم بالمبادئ قبل التفكير بالعمل بها . فلا سبيل إلى إعادة تكوين حضارة ربانية في مجموعها ، ما لم نحز أولاً المعطيات الأولى والأساسية التي ينبغي أن تكون لها الصدارة . ومن أراد أن يسلك غير هذه السبيل، فلن ينتهي إلا إلى إعادة الاضطراب إلى حيث أُريد التخلص منه ، ولا يُعد هذا فهماً لجوهر العلم الرباني. (١)

(١)راجع: نظرات في التربية الروحية رينيه جينو ص١٨٣ بتصرف، الشرق والغرب ص٢١٦ مرجع سابق

وقد أكّد –جينو– على أن علماء الحضارة الغربية لا يعكفون إلا على النظر في المستحدثات نظراً يشوبه الاضطراب؛ لأنه يفتقر إلى التوجيه الذي لا يكون إلا من قِبَل مذهب ميتافيزيقي خالص، لا يمكن أن يحل محله شيء ، على أن ذلك لا يعني رفض النتائج التي ينتهون إليها بهذه الطريقة، ولا تجريدها من كل قيمة نسبية، فمن الطبيعي أن المرء إذا قصر نشاطه على مجال معين، كانت النتائج التي يحصلها فيه أكثر. (١)

وعلى الرغم من أن النتائج تبدو صالحة حين ننظر إلى كل منها على حدة فإن مجموعها لا يمكن إلا أن يورث انطباعاً بالخلل والفوضى، فعناية الناس غير مصروفة إلى جودة المعارف التي يركمونها، ولكن إلى كمّها فحسب: إنه التشتت في التفاصيل التي ليس لها حد تنتهي إليه... والعقلية الحديثة منحصرة في نسبية تتقلص شيئاً فشيئاً. (٢)

ومن هنا ظهرت فوضى النظريات التي لا تُحصى، والفرضيات التي تتصادم وتتعارض، ويهدم بعضها بعضاً، ويحل بعضها محل بعض، حتى انتهى الحال إلى الزهد في المعرفة، وإلى القول بأن البحث إنما هو لمجرد البحث، وأن الحقيقة لا مطمع للإنسان في بلوغها، بل لعلها لا وجود لها، وبأنه لا مجال للاشتغال إلا بما يعود بالنفع والفائدة

(١)الشرق والغرب صـ٢٢٠ بتصرف يسير

(٢)راجع: نظرات في التربية الروحية رينيه جينو صـ١٠٣ بتصرف، وانظر أيضاً الشرق والغرب صـ٢٢٢ مرجع سابق

وليس من بأس بعد ذلك أن يسمي المرء ما انتهى إليه حقيقة، إذا بدا له ذلك ..

من خلال ما سبق يتبين أن الشيخ عبدالواحد يحي (رينيه جينو) يرى أن أهم وسائل التقارب الحقيقي بين الشرق والغرب يكمن في تخلي الغرب عن اللاأخلاقية في علومه الحضارية وآية ذلك أن يتحلى بالعرفانية (أو علوم الروح والغيبيات) ويمكن ذلك من خلال معالجة سوء اختيار الغرب للموضوعات المطروحة، والتي لا تثير اهتمام الشرق ؛كتقديم الجوانب المادية فقط، وإنكار الجوانب الروحية تماماً مما يضعف من وجود أرضية حقيقية للتقارب، موضحاً أن الشرق لن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ، كما يبين (جينو) أن الإنسانوية (وهي النزعات الجامحة في أوهامها المتعلقة بمصالح الإنسان) بكل أحلامها الوهمية ، ليست في كثير من الأحيان إلا قناعاً على المصالح المادية، وهو قناع يفرضه النفاق الأخلاقي، مؤكداً على عدم إمكانية وجود وسائل تفاهم حقيقي إلا بعد الاتفاق على مبادئ لا ترجع إلى نطاق المادة ولا إلى ميدان العاطفة ، وإنما تعود إلى مجال أعمق بكثير وأدوم استقراراً ألا وهو مجال العقلية المستبصرة.

المطلب الثالث: إنشاء الصفوة العرفانية

يقرر المستشرق الفرنسي رينيه جينو أنه يوجد الآن في الغرب عددٌ من الناس، أكبرُ ممّا يُعتقد، بدأوا يدركون ما يَنقص حضارتَهم، وإذا ما كانوا

قد أُختُزلوا بطموحات مُبْهَمة وبأبحاث عقيمة في أغلب الأحيان، بل وإن حصل أنّهم تاهوا تماماً، فذلك لأنهم يفتقدون معطياتٍ حقيقيّةً لا يمكن أن يُعوِّضَها شيْءٌ، ولأنّه لا توجد أيُّ مُنظَّمة يمكنها أن تُؤمِّن لهم الإرشادَ العقائديّ الضروريّ، وبناء على ذلك فقد جادت قريحة (جينو) بتفصيل بديع يدعو إلى تكوين نخبة (عرفانية) ويعني بهم الذين نالوا مراتب العرفان واليقين ووصلوا إلى جوهر المعرفة، وأصل المبادئ والذين بدورهم لا يمكن أن يختلفوا سواء من الغرب أو الشرق لأنهم وصلوا إلى جوهر المبادئ وهو واحد لأنه الحق، والحق واحد.

يقول جينو: (..يمكن للنّخبة الفكريّة في مختلف الظّروف أن نراها مُحتَمَلة الحصول في مستقبل وشيكٍ نسبيّاً.. أيّاً يَكُنِ الشّكلُ الذي يتّخذه التغييرُ الذي يُمثّل ما يمكن أن نسمّيَه العبورَ من عالَمٍ إلى آخرَ، سواءً أطالت دورةُ كلِّ عالَم منها أم نقصُت، فإنّ هذا التّغييرَ، حتّى وإن اتّخذ مظهرَ قطيعةٍ مُباغِتة، لا يستلزم أبداً انقطاعاً تامًّا، لأنّ هناك ترابُطاً سببيًّا يصل جميعَ الدّورات ببعضها إذا توصّلتِ النّخبةُ، التي نتحدّث عنها، إلى التّشكُّل، في ما هو مُتاح من الوقت بَعْدُ، فسيكون بإمكانها الإعدادُ للتّغيير حتّى يتمَّ في الظّروف الفُضلى، وحتى تُقلَّل الاضطراباتُ الحتميّة التي سترافقه إلى الحدودِ الدُّنيا؛ لكنْ، حتّى وإنْ لم يكنِ الأمر كذلك، فسيكون لها دائماً مهمّةٌ أخرى، أهمُّ بعدُ، وهي مهمةُ المساهمة في

حفظ ما يجب أن يبقى موجوداً في العالَم الحاليّ ليُستعمَل في بناء عالَم الغد.) (١)

إذاً فيمكننا أن نحدد صفات هذه النخبة العرفانية بما يلي:

أولاً: هم أناس وصلوا إلى درجة العرفان واليقين، أي المعرفة الحقيقة بالله سبحانه وتعالى ، والذي يورثم الإيمان بأنبيائه ورسله عليم السلام ،وما جاؤوا به لإصلاح الإنسان وصلاح الكون.

ثانياً: هو أناس لديهم عقيدة لا يشوبها شك في أن الإنسان مكوّن من روح وجسد ولكل منهما غذاؤه وبهذين الأساسين تكون الحضارات الحقيقية.

ثالثاً: إن هؤلاء النخبة لا يمكن أن يختلفوا في الغاية والهدف سواء كانوا من الشرق أو الغرب لأن مقصودهم واحد وهو الحق، والحق لا يتعدد.

ورغم خشية (جينو) من تضاؤل هؤلاء النخبة العرفانية إلا أنه كان يتملكه الأمل ألا يصل الأمر إلى حد الانقراض.

يقول –جينو– (ما زالت النخبة موجودة في الحضارات الشرقيّة، ومع التّسليم بحقيقة أنّها تتضاءل فيها أكثرَ فأكثرَ أمام الاجتياح الحديث، فإنّها رغم ذلك ستبقى حتّى النّهاية، لأنّه من الضروري أن يكون الأمر

(١)أزمة العالم الحديث رينيه جينو ، صـ ١٥٠ بتصرف مرجع سابق.

هكذا لحماية وديعة التّقليد الذي يجب ألاّ ينقرض، ولضمانِ نقْل كلِّ ما يجب حِفظُه)

كما يتبين أن على هؤلاء النخبة دور كبير يبينه جينو في قوله (وسوف يتعين على النخبة الناشئة أن تبذل الكثير من الجهود للتغلب على الكراهية التي ستفوّق إليها سهامها من جهات شتى ، دون الحاجة إلى زيادتها بالتمسك بما يؤدي إلى أوهام خاطئة لن تعتّم الحماقة وخبث الطوية مجتمعين حتى ينشراها . ومهما يكن من شيء، فالغالب أن هذه الأوهام كائنة ، ولكن متى أمكن الإرهاص بها، فمن الأفضل العمل على ألا تحدث. إذا كان ذلك ممكناً دون أن يفضي إلى عواقب أشد وخامة (١) .

المطلب الرابع: التفاهم لا الاندماج:

ثم يختتم المستشرق رينيه جينو كلامه في التقارب بنظرية التفاهم لا الاندماج معتبراً أن لكل قوم خصائصهم الظاهرة، والأشكال الخارجية أو التطبيقات العارضة المكيفة بشكل طبيعي، حسب الظروف وهذا بعيد كل البعد عن التفاهم والاتفاق والتقارب في المبادئ والمناهج والنتائج كما يؤكد على أن الحضارة الغربية تجهل تماماً الجانب الميتافيزيقي للإسلام وحضارته وهذا دور العلماء في نشر هذا الجانب وإثباته لأنه نقطة اختلاف وتحول جوهرية بين الشرق والغرب.

(١)الشرق والغرب رينيه جينو ص٢٥٨ مرجع سابق.

يقول جينو: (على الرغم من الاختلاف الكبير بين الحضارات الشرقية من حيث المظهر، فإنها تتشابه فيما بينها ؛ بأن لها جميعاً طابعاً ربانياً في الأساس . نعم، لكل موروث رباني ما يخصه من ضروب التعبير والشكل، ولكن متى وجد هذا الموروث، بالمعنى الصحيح والعميق لهذه الكلمة، فلابد من وقوع الاتفاق على المبادئ. وإنما يكون الاختلاف في الأشكال الظاهرة فحسب، وفي الممارسات العارضة، التي تحكمها الظروف، ولاسيما الخصائص العرقية، التي يمكن أن تختلف – في بعض الحضارات– في حدود معينة، بحيث يرجع الأمر حينئذ إلى مسألة التكييف(١).

على أن العجيب أننا حين نؤكد الوحدة الأساسية التي تجمع كل المذاهب الربانية، يُظن بنا أننا نقول بالاندماج بين الموروثات المختلفة، وأننا غافلون عن الوفاق في المبادئ لا يعني التماثل البتة. أفلا يكون هذا صادراً عن ذلك الخلل الغربي المثل ، وهو العجز عن المضي فيما وراء المظاهر الخارجية؟ ومهما يكن من شيء، فلقد نرى أن في العودة إلى هذه المسألة وفي الإلحاح عليها مزيد فائدة، وذلك لئلا تصرف مقاصدنا بعد الآن عن وجهها، بل إن في هذا الأمر فائدة، حتى بقطع النظر عن هذا الاعتبار(٢)

(١)المرجع السابق صـ٢٢٧

(٢) الشرق والغرب رينيه جينو صـ١٩١

والحق أن التقارب بين هذين القسمين من البشرية ، وعودة الغرب إلى الحضارة الطبيعية ليسا إلا شيئاً واحداً، وها هنا تكمن الفائدة العظمى من التقارب الي توفرنا على درس إمكانه من أجل مستقبل يلوح بعيداً نوعاً ما . ومرادنا بالحضارة الطبيعية تلك التي تقوم على مبادئ، وبالمعنى الصحيح لهذا المصطلح ، والتي يكون جميع ما فيها منظماً ومتدرجاً تدرجاً هرمياً على وفق هذه المباديء، بحيث يبدو كل شيء فيها كأنه مجلي وامتداد مذهب فكري صرف... وهذا عين مرادنا أيضاً بالحضارة الربانية.

ويؤكد على هذا المعنى د/عبدالقادر في مقالة له بعنوان : جدلية الشرق والغرب، حيث قال: نعتقد بأن التّحاور والتّجاور بين الشّرق والغرب لن يكون سهلا ولا ممكنا في الأفق القريب، فعوائق التحاور والتجاور كثيرة، ومن ناحية أخرى لم نؤسس لها وفق القاعدة القرآنية "وتعارفوا" إن التعارف هو الذي ينبغي أن نستبدله بمقولات الصراع والتصادم، فالتعارف يؤدي إلى التآلف، والتآلف يؤدي حتما للتقارب ومن ثمة يصبح التجاور ممكنا بين الأمم والحضارات. الشرق والغرب مقولتان لا يمكن أن تنصهر معا ضمن فضاء تناغمي تناسقي كامل،

لأن انصهارهما معا يعنى نهاية التاريخ ، والغرب لا يريد إلا أن يكون وحيد عصره ..، وعليه لا يسمح باللعبة المزدوجة. (١)

ومما سبق، يمكن فهماها كآليتين ضروريتين لتحريك عجلة التاريخ. وكل محاولة لوصل المفهومين ينجر عنه جملة من الثنائيات التي يمكن أن نضعها من خلال المفارقات السابقة ضمن المستحيلات، ففي لحظات الوعي المتقدم يكون الشرقي بالنسبة للغرب الآخر المستقل تماما عن الأنا أو الذات الأوروبية، والغربي في نظر الشرقي يمثل الأخر المادي المستقل عن أناه الروحاني.

لكن يمكننا إذا فهمنا مقصد الشيخ عبدالواحد يحي بأن يكون التقارب مبني على فهم عدم إمكانية الاندماج الذي يخالف فطرة الشعوب ، وخصائصها النفسية والدينية أيضاً، إذا ما تفهم الغرب ذلك كان تعارفاً على المعنى القرآني الذي وجه البشرية جميعاً إليه ، بأن نتعارف والذي يعني الإفادة والتعلم والوصول إلى قواسم مشتركة بين الشعوب والحضارات.

على أن هنا ملحظ خطير ومهم وهو أننا لا نعني إطلاقاً إذا كرنا احترام خصوصية وطبائع الآخرين التخلي عن ديننا أو ألا ندعو إليه

(١) https://١ الزيارة بتاريخ ٢٠٢٢/٥/٢٢-
azureedge.net/blogs/١٠٧٢a٢٠١٦/١١/%D٣/%D٨AC%D٨AF%٨٤%
A%D٨٩D%

فالبون شاسع والفرق كبير بين أن نتعاون على النفع العام بين الشعوب، وبين سبيل نجاتنا في الدنيا والآخرة والذي انحصر في دين الإسلام بتعاليمه السمحة ومبادئه الشاملة.

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

من خلال هذا البحث الذي طوفنا فيه حول حياة الشيخ عبدالواحد يحي (رينيه جينو) والذي تناولنا من خلاله بعض وسائل التقارب بين الشرق والغرب بصفة عامة ، ثم تحدثنا عن وسائل التقارب بين الشرق والغرب عند المستشرق المسلم رينيه جينو بصفة خاصة ، خلصت الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات وذلك على النحو التالي:

أولاً: النتائج:

١- يعد المستشرق الفرنسي رينيه جينو (الشيخ عبدالواحد يحي) رمزاً من رموز الحق الذي نبتت شجرته في حديقة الغرب فأمعن في إيقاظهم من غفلتهم وإرشادهم لما ينفعهم عن طريق التقارب الحقيقي بين الغرب والشرق.

٢- تعد مؤلفات رينيه جينو في غاية الأهمية وهي في حاجة ماسة إلى مزيد اهتمام ودراسة من الباحثين فهي مليئة بالنظريات التي تغني الباحثين تحريراً ودراسة.

٣- إن أهم وسائل التقارب بين الشرق والغرب بوجه عام : معالجة نظرة الاستعلاء الغربي على الشرق.

٤- ومن أهم وسائل التقارب بين الشرق والغرب أيضاً النقل المعرفي للعلوم والآداب الشرقية .

٥- من أهم وسائل التقارب بين الشرق والغرب في فكر المستشرق رينيه جينو:

- عكسية الطلب
- إسقاط نظرية الإنكار
- إنشاء الصفوة العرفانية
- التفاهم لا الاندماج

٦- لا يعني كلام رينيه جينو أن معنى احترام خصوصيات الشعوب ومبادئهم ، تعني عدم ضرورة الإيمان بالدين أو الدعوة إلى الإسلام، فإن الانتفاع بالحضارة والجهود الإنسانية شيء لا يتعارض وانسجام النفع المتبادل مع الالتزام بتعاليم الإسلام أو الدعوة إليه.

ثانياً: التوصيات:

١-أوصي بضرورة الاهتمام بكتب الشيخ عبدالواحد يحي –رينيه جينو- فهي كتب تحمل منهجية فريدة في كيفية التعامل مع العالم الغربي، ورصد مواطن النقص الحقيقي للحضارة الغربية، وكيفية علاجها بخلفية إسلامية راسخة.

٢-أوصي كل مهتم بالشأن العالمي والغربي أننا في حاجة ماسة إلى بذل الجهد لتحقيق تقارب فعليّ بين الشرق والغرب يفتح الطريق أمام الدعوة ورجالها .

٣- ضرورة الاطلاع المستمر على مستجدات الفكر الغربي، بدقة وتأني وفهم ودراسة، حتى يمكن تمييز الخبيث من الطيب ، وإظهار ما ينفع الناس.

٤- ضرورة عقد ورش عمل ومؤتمرات وندوات من خلال بروتوكولات تعاون علمي وثقافي بين المؤسسات التعليمية والدعوية المنوطة بتبليغ الإسلام ونشر رسالته وبين الغرب، فلا يزال الغرب جاثياً على ركبتيه في مجال العلوم الغيبية يحتاج إلى من يبين له قيمتها، ودورها في حياة الأمم حياة حقيقية خالصة.

٥- أوصي بضرورة العمل بنتائج الأعمال العلمية المتعلقة بنشر الإسلام، أو بحث قضية من قضاياه خاصة فيما يتعلق بوسائل التقارب بين الشرق والغرب.

وصلى اللهم على فيض رحمتك للعالمين

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمين.

ثبت المراجع:

١- أبجديات البحث في العلوم الشرعية د/فريد الأنصاري منشورات الفرقان، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢- أزمة العالم الحديث رينيه جينو ترجمة عدنان نجيب الدين وجمال عمار طبعة المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية

٣- الإسلام بين الشرق والغرب علي عزت بيجوفيتش طبعة مجلة النور الكويتية

٤- البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة" دراسة مقارنة بين التصور الإسلامي والفكر الوضعي" : د/ عبد الله على عبد الحميد سمك بدون ذكر اسم الناشر

٥- الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها د/علي إبراهيم النملة سنة ١٤٣١هـ

٦- الشرق والغرب رينيه جينو ترجمة د/أسامة شفيع طبعة مدارات للأبحاث سنة ٢٠٢٠م

٧- الشيخ عبد الواحد يحي وجهوده في خدمة التصوف الإسلامي د/معمر قول ، معهد العلوم الإسلامية

٨- "عندما تفشل النبوءة *When Prophecy Fails* "، ليون فستنجر وآخرون طبعة سنة ١٩٥٦ م،

٩- قضية التصوف المنقذ من الضلال، للإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود، طبعة دار المعارف.

١٠- لئلا يكون صدام حضارات هادي المدرسي ، دار الجديد الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م.

١١- المستشرقون للعقيقي ج٢ طبعة دار المعارف

١٢- معجم مصطلحات الأنثروبولوجيا والفلسفة وعلوم اللسان والمذاهب النقدية والأدبية د/سمير سعيد حجازي طبعة دار الطلائع ، بدون تاريخ

١٣- مقال بمجلة آفاق الإسلامية، العدد ٨٠ عدد شعبان ١٤٢٤هـ، أكتوبر ٢٠٠٣م

١٤- الملل والنحل للشهرستاني ،- جـ٢ - دار المعرفة - بيروت - ط٢ - ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.)

١٥- مليك العالم للشيخ عبدالواحد يحي (رينيه جينو) طبعة عالم الكتب الحديث سنة ٢٠١٣م.

١٦- نظرات في التربية الروحية رينيه جينو

١٧- هيمنة الكم وعلامات آخر الزمان رينيه جينو ترجمة عبدالباقي مفتاح طبعة عالم الكتاب الحديث ٢٠١٣

١٨- https://١a١٠٧٢.azureedge.net/blogs/٢٠١٦/١١/٣/%D٨٪AC%D٨٪AF%D٩٪٨٤٪D٩٪٨A%D٨٪A٩-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٤٪D٨٪B١٪D٩٪٨٢-

فهرس الموضوعات

Contents

الملخص: ٥٠٨
المقدمة: ٥١٢
أهمية البحث وأسباب اختياره: ٥١٣
المناهج المستخدمة في البحث: ٥١٤
المبحث الأول: التعريف بالمستشرق (رينيه جينو) ٥١٨
المطلب الأول:مولده واسمه ونشأته ٥١٨
المطلب الثاني: مسيرته العلمية ٥١٩
المطلب الثالث: خطة جينو الإصلاحية وأهم سماتها ٥٢١
المبحث الثاني: ٥٢٣
وسائل التقارب بين الشرق والغرب في الفكر الاستشراقي بوجه عام ٥٢٣
المطلب الأول:معالجة نظرة الاستعلاء الغربي على الشرق ٥٢٣
المطلب الثاني: ٥٢٦
النقل المعرفي للعلوم والآداب الشرقية ٥٢٦
المبحث الثالث: وسائل التقارب بين الشرق والغرب في فكر المستشرق (رينيه جينو) ٥٢٩
المطلب الأول: عكسية الطلب ٥٢٩
المطلب الثاني: إسقاط نظرية الإنكار ٥٣٣
المطلب الثالث: إنشاء الصفوة العرفانية ٥٣٧
المطلب الرابع: التفاهم لا الاندماج: ٥٤٠
الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات ٥٤٥
أولاً: النتائج: ٥٤٥
ثانياً: التوصيات: ٥٤٦
ثبت المراجع: ٥٤٨
فهرس الموضوعات ٥٥٠